

الأصول والخصائص الثقافية للشخصية السودانية كمحددات للتعامل مع جائحة كورونا

The cultural origins and characteristics of the sudanese personality as determinants of dealing with the corona pandemic

الدكتور عمر محمد علي يوسف* - جامعة الخرطوم (السودان)

الدكتورة ايمان الصادق عثمان عبدالله-جامعة النيلين (السودان)

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الشخصية السودانية أصولها وسماتها كمحددات للتعامل مع جائحة كورونا، استُهلّت الدراسة بمقدمة ، تلتها فقرة عن معني الثقافة، ثم إنتقل الحديث عن مفهوم الشخصية ، مفهوم الصحة والسلوك الصحي ومصادر الشخصية السودانية، وتوصلت الدراسة إلي أن الشخصية السودانية تتسم ببعض السمات التي تؤثر سلبا علي السلوك الصحي الواقي ضد فيروس كوفيد19، وهذه السمات إما ذات جذور بدوية رعوية ، أو ذات جذور دينية صوفية ، ومن أهم السمات التي تعوق السلوك الصحي : التعاون ، التعاطف ، السكن المتقارب ، الإلتزام الصارم بالعادات والتقاليد ، التمرد علي النظام والقوانين واللوائح ، القدرية المفرطة والسلبية ، الميل إلي تصديق وترويج الشائعات والخرافات ، التدين التقليدي والوعي السياسي المرتفع

الكلمات المفتاحية : الثقافة ؛ السمات الثقافية ؛ الشخصية ؛ الصحة ؛ فيروس كوفيد

19

ABSTRACT:

*البريد الإلكتروني: @2016jenaneman@gmail.com

This study deals with the Sudanese personality, its origins and characteristics, as determinants for dealing with the Corona pandemic, the study starts with an introduction, followed by a paragraph on the meaning of culture, the discussion goes on to elaborate on the concept of personality, the concept of health and health behavior, and the sources of Sudanese personality, the study concludes that the Sudanese personality is characterised with some features that negatively affect protective health behavior against the Covid 19 virus, these features are either of nomadic pastoral roots, or mystical religious ones, the most important features that impede healthy behavior are cooperation, sympathy, close housing, strict adherence to customs and traditions, rebellion against system, laws and regulations, excessive and passive fatalism, tendency to believe and disseminate rumors and superstitions, traditional religiosity and high political awareness.

Keywords: culture; culture traits; personality; health; covid-19.

المقدمة :

تتعدد العوامل المؤثرة في السلوك الصحي، ومنها عامل السن Age حيث أن جسم الإنسان تبعاً لتقدم السن يخضع للعديد من التغيرات البيولوجية التي تؤثر على الجهاز المناعي وبالتالي تؤثر في الحالة الصحية، ويضاف إلى ذلك أن تقدم السن يرتبط بزيادة الخبرة التي من المرجح أن تؤدي إلى تعديل في الاتجاهات والقيم والمعتقدات المرتبطة بالسلوك الصحي، كذلك من العوامل التي تؤثر في السلوك الصحي عامل

النوع Gender فعلي سبيل المثال يختلف الذكور عن الإناث علي المستوي البيولوجي والمستوي الهرموني ، زيادة علي الاختلاف في مستويات البيئات الاجتماعية والثقافية ، وأسلوب التنشئة الاجتماعية ، وتفریق المجتمع أحيانا في تعامله مع الذكور والإناث مما يوحي بأن لكل من الذكور والإناث مشكلات صحية خاصة بهم ، يضاف الي هذه المؤثرات الوضع الاجتماعي الاقتصادي ، وتشير الدراسات إلي أن أفراد الطبقات الاجتماعية الدنيا أكثر عرضة للوفاة من الأفراد ذوي المكانة المهنية المرتفعة ، وقد يرجع السبب في ذلك الي أن أفراد الطبقات الدنيا ينتظرون لفترات أطول سعيا للرعاية الصحية مما يؤدي الي تفاقم المرض ، وبالتالي عدم جدوي العلاج ، كما ان هناك بعض العوامل النفسية ذات الصلة بالصحة والمرض وهذه تشمل نمط الشخصية وفاعلية الذات ، والصلابة النفسية ، ومركز الضبط الصحي ، والدعم النفسي ، والمساندة الاجتماعية والمعتقدات الصحية ، غير ان الموضوع الأساس لهذه الدراسة هو أثر العوامل الثقافية في السلوك الصحي ، فقد توصلت دراسات عديدة الي اكتشاف تأثير الثقافة علي معاني الصحة ، الممارسات ، والقيم ، حيث يمكن للفروقات الثقافية ان تفسر التباينات في طريقة الاستجابة للمهددات الصحية ، وكذلك في الطريقة التي يتبني بها الافراد السلوك المضر بالصحة أو السلوك الوقائي المعزز او الداعم للصحة (شويخ ، م - 2012 : 42) ، وإذا حاولنا ان نطبق هذا المنظور علي تعامل السودانيين مع جائحة كورونا نلاحظ ان إختلاف البيئات الثقافية يؤثر علي مستوي الوعي الصحي وبالتالي الاستجابة للتدابير الوقائية وتبني السلوك الصحي المعزز للصحة ، فمثلا هناك بيئات ثقافية وطبقات اجتماعية تعاملت مع الجائحة بكل واقعية وتبنوا كل التدابير الصحية الوقائية ، وهناك بيئات ثقافية وطبقات تعاملت مع الجائحة بمبدأ الإنكار بإعتبار ان الاعتراف بهذا المرض أو الاعتراف بالاصابة به يُمثل نوعا من الوصمة الاجتماعية ، وهناك بيئات ثقافية وطبقات اجتماعية تعترف بالخطر وبوجود المرض ، ولكن تتعامل معه بفوضوية وعدم جدية وعدم مسؤولية وقدرية مفرطة ولا تتبني أي تدابير تقيهم من خطر الفيروس ، لذلك تأتي هذه الدراسة لتلخص بعض السمات الثقافية والنفسية للشخصية السودانية المرتبطة بكيفية ونوعية تعاملها مع جائحة كورونا ، وتركز

الدراسة بصورة خاصة علي السمات التي تعوق السلوك الداعم للتدابير الوقائية المعززة للصحة ، وخاصة تلك السمات المستمدة من الجذور البدوية والجذور الصوفية.

معني الثقافة : يدقق علم نفس الثقافة في الدوافع النوعية أو في غيابها فتكون المجالات الاساسية المستهدفة عندئذ هي علم النفس والعلم والعقائد ، كما هي مجالات علم النفس الاجتماعي التي تهتم بالأخلاق والقيم والاتجاهات والعادات والتربية وبتهديب السلوك من خلال التطبيع الاجتماعي والذوق وأشكال العلاقات الاجتماعية ، كل هذه المظاهر السلوكية تتأثر بالثقافة وتؤثر فيها ، والثقافة هي ليست مجموعة أشياء مادية أو مجردة ، بل سباق تطور ، إنها عملية معرفية انسانية تتحقق في ان معا داخل الفكر البشري وخارجه (تروداك، ب - 2009: 31) وهناك من ينظر للثقافة علي أنها مجموع مايتعلم ويُنقل من نشاط حركي وعادات وقيم وتقاليده واتجاهات ومعتقدات تنظم العلاقات بين الافراد وأفكارهم وتقنياتهم ومايصاحبها من وجدانيات وماينشأ عنها من سلوك يشترك فيه أفراد المجتمع .

ويتعلم الفرد عناصر الثقافة الاجتماعية أثناء عملية النمو الاجتماعي من خلال التنشئة الاجتماعية ومن خلال تفاعله مع المواقف الاجتماعية مع الرفاق ومع الراشدين ، وتؤثر الثقافة في تشكيل شخصية الفرد والجماعة عن طريق المواقف الثقافية العديدة من خلال التفاعل الاجتماعي المستمر ، وتؤدي الثقافة دورا مهما في عملية التطبيع الاجتماعي ، حيث يُلاحظ التأثير المتبادل بين المؤسسات الثقافية المختلفة عن طريق عملية الاتصال التي تحمل في طياتها العناصر الثقافية والرسائل الثقافية بكل تأكيد ، وهكذا تحدد الثقافة السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية ، وفي المواقف الاجتماعية يكتسب الفرد عناصر الثقافة ويمارسها ، وهذه هي عملية التعلم الاجتماعي الذي يحدث عن طريق الملاحظة أو التقليد أو المحاكاة أو الاقتداء وهو مايسمي بالتعلم الشهودي ، والثقافة لا تؤثر في سلوك الفرد بصورة مباشرة ، وإنما تساهم في ذلك عددا من الوكالات أو المؤسسات الاجتماعية والجماعات المرجعية التي ينتمي اليها الفرد ويرتبط بها ، والتي تشمل

الأسرة وجماعة الاقران والمؤسسات التعليمية ومؤسسات العمل ، ودور العبادة والمجتمع بصفة عامة (زهران ، ع 2003 - : 314-315) وهذه المؤسسات بوعي أو بدون وعي تكون قد شكلت السلوك الصحي لدى الأفراد عموما ، بمعنى أن هذه المؤسسات أما أن تكون داعمة للسلوك المُعزز للصحة أو مساندة للسلوك الهادم للصحة ، وقد تتسق هذه المؤسسات في تأثيرها الصحي وقد تتناقض أحيانا ، وللثقافة مستويات متعددة ، فهناك الثقافة العامة التي تشمل كل أفراد المجتمع ، وهناك الثقافة الإقليمية التي تخص إقليما بعينه ففي السودان هناك ثقافة الوسط وثقافة الغرب وثقافة الشرق وثقافة الشمال بالإضافة لثقافة الخرطوم التي جمعت كل الثقافات ، والثقافة العرقية التي تكون ملتصقة بجماعة عرقية معينة ، وفي هذا الشأن يمكن القول أن السودان هو بلد التعدد العرقي ، كما أن هناك الثقافة الدينية ، والتي تكون مُشبعة برموز وشعائر عقيدة معينة ، ومن التصنيفات ايضا ، الثقافة حسب الجنس من حيث الذكور والاناث ، ومن تصنيفات الثقافة ثقافة الجيل ، والمستوي الاقتصادي والاجتماعي دوره في إيجاد ثقافة خاصة بأفراد كل مستوي ، أو طبقة حسب الوضع الاقتصادي أو التعليمي حيث نجد ثقافة نوعية تختص بالأغنياء ، وأخري تختص بالفقراء ، وكذلك ثقافة نوعية تختص بالأكثر تعليما تختلف عن الأقل تعليما ، علما أن هذا لايعني بالضرورة الأفضلية لأحدهما علي الآخر في ثقافته (الطريبي، ع1993- : 52-53) وفيما يتعلق بجائحة كورونا نلاحظ أن فئات المجتمع السوداني تباينت رؤاها وتفسيراتها وبالتالي تعاملها مع جائحة كورونا ، فضلا عن ذلك نجد أن سكان العاصمة أكثر حذرا وجدية ووعيا في تعاملهم مع خطر فيروس كورونا مقارنة مع بقية سكان أقاليم السودان أو ولاياته الأخرى.

مفهوم الشخصية :

يُعد مفهوم الشخصية من المفاهيم الجوهرية في علم النفس بل يمكن القول أن علم النفس في حقيقته هو علم دراسة الشخصية الانسانية ، لذلك تعددت وتنوعت وجهات النظر حول مفهوم الشخصية ، ولكن الموقف في هذه الأدبيات يستطيع تقسيم هذه الأدبيات الي ثلاث وجهات ، فهناك من ينظر الي الشخصية كمثير أو منبه وعند

هولاء فإن الشخصية تعني التأثيرات التي يتركها الشخص في الآخرين ، وفريق ثاني ينظر إلي التأثيرات التي يتركها الشخص في الآخرين ، وفريق ثالث ينظر إلي الشخصية كمستجيب ، وينظر هولاء للشخصية من خلال إستجابتها لمثيرات أو مواقف الحياة ، وفريق رابع رؤيته أكثر إتساعا وشمولا ، والشخصية عند هولاء تعني مجموع سمات الفرد الثابتة نسبيا والتي تجعله يستجيب لمثيرات الحياة بصورة فريدة تميزه عن الآخرين ، والشخصية وفقا لهذا المنظور هي مجموعة متميزة فريدة من الصفات أو التصرفات التي تميز الفرد عن الآخرين ، والتي تظهر بشكل متنسق في المواقف المختلفة علي نحو مستقر وثابت ، هذه المجموعة من الخصائص الشخصية التي تحكم سلوك الأفراد وتصرفاتهم في جزء كبير من السلوك الاجتماعي ، وفي طرق إدراك الافراد للعالم ولذواتهم ، و يمكن تفصيل هذه الخصائص كما يلي :

أ/ خصائص فسيولوجية :

وهي التي ترتبط بوظائف الاعضاء وتتمثل في أجهزة الاستقبال (أعضاء الحواس) وأجهزة الربط والتوصيل (الجهاز العصبي) وأجهزة الاستجابة (الغدد والهرمونات والعضلات).

ب/ خصائص عقلية :

مثل الذكاء والذاكرة والإبداع والتفكير ، من مرونة في التفكير أو تصلب ، جمود أو تفتح.

ج/ خصائص مزاجية :

مثل حدة المزاج أو اعتداله أو ما يُعرف عنه من توتر أو إتران وجداني ، قلق أو إسترخاء ، تشاؤم أو تفاؤل 0

د/ خصائص تتعلق بأساليب التفاعل مع الآخرين :

مثل التسلط أو الخضوع ، الإنطواء عن الناس أو الإنبساط ، التعاون أو التنافس ، التودد أو النفور (ابراهيم، ع 1987: 432).

وتستمد الشخصية بعض خصائصها وسماتها بشكل كامل من العوامل الوراثية ، فهناك تماثلاً كبيراً في عدد من الخصائص الجسمية كالطول ، الوزن وملامح الوجه ، وبداية التغيرات الجسمية المصاحبة للمراهقة ، وشكل الموجات الكهربائية الصادرة من المخ ، وضغط الدم وشكل العينين ولونهما ، وشكل الأسنان ، واللوازم الحركية المصاحبة للكلام أو الحركة ، وهناك تماثل أقل في الخصائص المعرفية والمزاجية ، وهكذا تشير نتائج الدراسات الى ان الخصائص الجسمية للشخصية تخضع للوراثة بشكل أكبر من الخصائص الأخرى (ابراهيم ، ع1987 - : 433) أما بعض الخصائص مثل الطموح ، العدوان ، الريبة و الذكاء ماهي إلا عوامل ترجع لعوامل البيئة والتعليم الاجتماعي ، وهي خصائص تشكلت خلال الطفولة نتيجة لتأثيرات متراكمة من الخبرات الأسرية والاجتماعية والتربوية التي تمر بالشخص في مراحل نموه المتعددة ، والبعض الآخر من الخصائص يشير الى الالتقاء والتفاعل بين الاستعدادات الوراثية وأنماط التعلم الاجتماعي اللاحق ، بمعنى ان السمة الوراثية الواحدة يمكن أن تُترجم في الواقع بلغتين مختلفتين ويعتمد ذلك عليما تمر به الشخصية في علاقتها بالصحة والمرض ، فقد قسم علماء النفس الصحي الشخصية وفق الأنماط الآتية :

أ/ نمط الشخصية (A) type A personality :

ويتميز هذا النمط بالصبر ، والعدوان والتزمت ، القابلية التنافسية والمحاولات لتحقيق أكبر إنجاز في أقل وقت ، وطريقة الكلام المُفعم بالقوة والحماس والحيوية ، ويرتبط نمط الشخصية (A) بزيادة الاستهداف بمرض الشريان التاجي.

ب/ نمط الشخصية (B) type B personality :

وهو نمط من الشخصية يتميز بالإسترخاء ، وحب الاعمال السهلة ، والروح التعاونية .

ج/ نمط الشخصية (c) type C personality :

يتصف هذا النمط بالتعاون والعطف والسلبية ، وضعف الثقة في الذات والتضحية بالذات وكبح الإنفعالات ، ويرتبط هذا النمط بالإستهداف بالاورام السرطانية ، وفيرس نقص المناعة (HIV) ، حيث اشارت الدراسات الي ان نمط الشخصية يعاني من إنخفاض وظيفة الجهاز المناعي.

د/ نمط الشخصية (D) type D personality :

هذا نمط من الشخصية يتميز اصحابها بأنهم يتمتعون عن التعبير عن مشاعرهم السلبية ، ويتجنبون التفاعل الاجتماعي خوفا من مواجهة رفض مشاعرهم ، وتؤثر سمات نمط الشخصية (D) في الصحة والمرض من خلال زيادة المؤشرات القلبية وإرتفاع المشاعر الذاتية للمشقة نتيجة التوتر الحاد (شويخ، 2012: 22).

مفهوم الصحة والمرض من المنظور السيكلوجي :

هناك وجهات نظر متعددة لتفسير مفهوم الصحة فهناك منظور يُفسر الصحة بأنها انعدام المرض ، وعليه فإن الأفراد يعتبرون أنفسهم أصحاء إذا لم يشكو أحدهم من أي أعراض جسمية ، وكانت زيارته للطبيب نادرة ، وهناك أفراد يعدون أنفسهم أصحاء إذا إعتقدوا أنهم الأفضل صحيا مقارنة بالآخرين من المرضي رغم كونهم من المشخصين بأحد الامراض ، والصحة عند البعض مرادفة للحياة البدنية فهناك اشخاص يعدون أنفسهم أصحاء إذا شعروا بالكفاءة البدنية ، والصحة احيانا ينظرون اليها كجودة نفسية واجتماعية ، فالأفراد هنا يصنفون انفسهم ضمن الأصحاء ، إذا كانوا قادرين علي خوض الحياة بكل جوانبها أو إذا شعروا بالسعادة ، وهناك من يربط بين الصحة والقدرة علي أداء المهام ، وعندها يشعر الأفراد بأنهم يتمتعون بالصحة عندما يستطيعون أداء مهامهم اليومية بشكلها المعتاد ، ويلاحظ أن التفسيرات التي وردت لتفسير الصحة لا تُعبر عن وجهة نظر علمية ، وإنما هي مفاهيم دارجة أو شائعة مُستمدة من التراث الثقافي المنقول من جيل الي جيل (شويخ، 2012: 22) .

حاول الباحثون والدارسون والمنظرون في الدراسات النفسية تقديم عدة تصورات نظرية للصحة منها تصور وايلي whylie (1970) ، وتصور بندر pender (1982) ، غير أن التصور الذي نراه أكثر واقعية وشمولا هو المنظور الذي قدمه سميث smith (1979) ويقدم هذا التصور أربعة اتجاهات نظرية لمفهوم الصحة هي :

1/ الإتجاه المثالي :

هذا التوجه هو أعلي تصور نظري لمفهوم الصحة ، وينظر الي الصحة علي أنها حالة مثالية من تحقيق الذات ، كما أنها حالة من السلامة الكاملة .

2/الإتجاه التوافقي :

يري أصحاب هذا الاتجاه أن الصحة تعني قدرة الفرد علي التعامل الفعال مع بيئته وكفاءته أو قدرته علي مواجهة تحديات الحياة ، وحسب هذا التوجه فإن الصحة هي حالة هادفة ومتوافقة تتمثل في الاستجابات المعرفية والانفعالية والاجتماعية المناسبة أو الملائمة التي يصدرها الفرد للمثيرات الداخلية والخارجية بهدف الحفاظ علي الاستقرار وتحقيق قسط كبير من السلامة ، وهنا يُمكن طرح السؤال التالي : هل الاستجابات المعرفية والانفعالية والاجتماعية لقطاع عريض من افراد المجتمع السوداني تتناسب مع خطر فيروس كوفيد 19؟

3/ الإتجاه الوظيفي :

وفقا لهذا التصور فإن الصحة تعني قدرة الفرد العالية علي القيام بأدواره وتحقيق المطالب التي من أجلها تمت تنشئته وتطبيعته اجتماعيا ، وهنا يناظر مفهوم المسؤولية الاجتماعية مفهوم الصحة ، وهنا يُمكن طرح السؤال التالي : هل الكثير من افراد المجتمع السوداني قاموا بأدوارهم وتحملوا مسؤوليتهم كما ينبغي تجاه الخطر الذي تمثله جائحة كورونا ؟

4/ الإتجاهالأكلينيكي أو العيادي :

وحسب هذا المنحي فإن الصحة عبارة عن حالة الخلو من المرض أو أعراض المرض (عبدالعزیز ،م 2010: 49-50) ومن هذه الزاوية يجب التنبيه إلي ان هذا المنظور يفسر الصحة والمرض من المنظور الطبي البحت الذي لا يضع اعتبار للعوامل النفسية والاجتماعية ، وقد ثبت قصور هذا الاتجاه لأن الاتجاه السائد الآن هو الاتجاه البيولوجي النفسي الاجتماعي ، وفي ظل جائحة كورونا فإن نوعية السلوك الصحي الذي يتبناه الفرد والمجتمع هو الذي يصنع الفارق في الإصابة أو الوقاية من فيروس كوفيد 19 .

مجالات الصحة وجائحة كورونا :

تشمل ميادين الصحة الشخصية والصحة العامة ، والرعاية الصحية الأولية ، والتربية الصحية ، والصحة المهنية والخدمات الصحية الوقائية (عبدالعزیز ،م 2010 : - 51) وسوف يتم تناول هذه المجالات بالترتيب ، ومن ثم ربطها بواقع الحال في السودان :

1/ الصحة الشخصية :

يعتمد هذا المجال علي وقاية وحماية الصحة والحفاظ عليها ، وذلك من خلال الإجراءات الوقائية ، وفي هذا الشأن تقع المسؤولية علي المواطن السوداني بدرجة كبيرة لأن السلطات الحكومية أصدرت كل الموجهات والقرارات الحامية للصحة ، ويتبقي دور المواطن.

2/ الصحة العامة :

وهنا يُمكن القول ان هذا هو دور الدولة الذي يشمل توفير بيئة صحية ، ومحاولة السيطرة علي الامراض ، وتوعية الفرد والمجتمع صحيا ، وتنظيم وتوفير الخدمات الطبية والتمريضية وفي هذه الجزئية فإن السلطات الصحية ممثلة في وزارة الصحة قد اجتهدت في أداء دورها علي الوجه الأكمل في حدود إمكانياتها في ظل بيئة صحية هشة ومتردية أساسا ، لذلك كانت السلطات الصحية تراهن علي وعي المواطن

السوداني وإجتهدت في تحقيق ذلك كل إجتهد ، ولكن يمكن القول ان سلوك المواطن الصحي لم يكن جادا بالقدر المطلوب.

3/ الرعاية الصحية الأولية :

تعمل الرعاية الصحية الأولية علي توفير رعاية صحية ذات ضرورة بأسعار معقولة تحظى بقبول الجميع ، وبالرجوع للواقع السوداني فإن هذا الهدف يصعب تحقيقه لأن الحكومة الإنتقالية الحالية هي حكومة حديثة عمرها ثمانية أشهر ، وقد ورثت نظاما صحيا مترديا لأن النظام الهالك أهمل المؤسسات الصحية الحكومية تماما وعمل علي خصخصة الخدمات الصحية ووجه كل موارد الدولة للأمن والدفاع ، والدليل علي ذلك أن ولايات السودان المختلفة ليس بمقدورها تشخيص فيروس كورونا ، حيث تُرسل العينات للمعمل المركزي في الخرطوم ، ويُمكن تخيل الزمن المهدر الذي يشكل خطرا علي صحة الحالات المشتبهة.

4/ التربية الصحية :

تتمثل التربية الصحية في نشر الوعي الصحي والثقافة الصحية من أجل تنمية صحة الأفراد وحمايتهم من المخاطر الصحية التي تظهر نتيجة لتبنيهم أسلوبا غير صحي في الحياة ، ولدينا بحث في هذا المجال اشار إلي ان وسائل التوعية بخطر فيروس كورونا هي الحلقة الاقوي في تجربة تعامل السلطات الصحية مع المرض ، فقد غطت الرسائل التوعوية كل مراحل المرض ، وشملت أعراض المرض وكيفية الوقاية منه ، كيفية غسل اليدين ، إرشادات للنساء الحوامل ولكبار السن وللنفات الهشة والكوادر الطبية ، وكيفية دفن الموتى المشتبه بهم ، وقد ساهمت العديد من مؤسسات المجتمع في بث الرسائل التوعوية بخطر فيروس كورونا ، حيث شاركت المؤسسات والهيئات الحكومية المدنية والوحدات العسكرية والشركات والبنوك والمنظمات العالمية والمنظمات الطوعية السودانية ، الجامعات والكليات والأحزاب السياسية وحتى الأندية الرياضية .

5/ الصحة المهنية :

وفي هذا البحث يُقصد بها الرعاية الصحية للكوادر الصحية في ظل جائحة كورونا ، والتي تشمل الأطباء ، الصيادلة كوادر المعامل ، كوادر التمريض وكل الكوادر الطبية المساعدة ، وللأسف فإن هناك حالات كثيرة من الإصابة في هذا القطاع ، بل للأسف الشديد هناك حالات وفيات ، وحسب المعلومات المُتداولة فإن هناك ضعف في المُعينات الوقائية المعنية لهذه الفئات .

6/ الخدمات الوقائية :

وتتضمن الوقاية من المخاطر الصحية وتكثيف الإجراءات الوقائية لمنع حدوث المرض مثل التقليل من عوامل الخطر ، كما تتضمن إجراءات توقف تطور المرض والتقليل من مضاعفاته الصحية ، وحسب الوضع الصحي في السودان يُلاحظ أن الحالات في تزايد مستمر ، بل وصلت إلي مرحلة العدوي المجتمعية ، وأصبحت الحالات اليومية تصل إلي المئات وفي كل ولايات السودان ، والسبب الأساسي في فشل المنظومة الوقائية هو السلوك المضر بالصحة الذي تبناه المجتمع السوداني في تعامله مع هذا الفيروس الخطير .

الشخصية السودانية " أصولها وسماتها" :

يري (حامد ، ع 2020: 25) أن الثقافة هي معرفة عامة واسعة وعميقة تساعد الأفراد في ترقية سلوكهم وتهذيبه ، وبالتالي تحفزهم ان يسموا بمستوي معيشتهم ، ويدعوا لكي يتقدموا في جميع مجالات الحياة ، هذا المفهوم الديناميكي للثقافة يعني أن أي نمط ثقافي يستند إلي ماضي ويعيش حاضر ويتطلع إلي مستقبل ، وبالنظر الي الماضي فإن الشخصية سليلة موروث ثقافي عميق الجذور واسع الإمتداد الجغرافي والتاريخي ، وهذه الجذور العميقة والممتدة شكلت الشخصية السودانية بسمات وخصائص وخصال ميزت الشخصية السودانية عن غيرها من الشخصيات القومية حتي في الجوار الإقليمي القريب ، وإن كانت هناك بعض المُشتركات بين الشخصية السودانية والشخصيات القومية المجاورة ، وهذا الحديث يقود للخوض في جدل

الهوية في السودان ، الأمر الذي جعل بعض المفكرين يعتقدون أن الهوية السودانية وبالتالي الأمة السودانية مازالت في مرحلة التشكل والتكوين ، وهذا لم يمنع الحديث عن أصول الهوية السودانية والذي يري المفكرين أنه العامل الأساسي في تعميق الأزمة السودانية ، وتباينت الإتجاهات في الهوية السودانية ، ففريق يري أن السودان بلد عربي الهوية وآخر علي النقيض يري أن السودان بلدا أفريقيا زنجي الهوية ، وفريق توفيق يري أن الهوية السودانية هي هوية هجين تشكلت بفعل المكون الأفريقي الوطني مع المكون العربي الوافد ، وهناك فريق يُنادي بما يُسمى بالسودانوية ، حسما للجدل الدائر بين مؤيدي العروبة من جهة ومؤيدي الأفريقية من جهة أخرى ، والمُتتبع لجذور الثقافة في السودان وسمات الشخصية السودانية يُلاحظ بوضوح تأثير عاملين رئيسيين هما :

1/ المجتمع التقليدي البدوي الرعوي 2/ المجتمع التقليدي الديني الصوفي

وفي هذه المساحة سوف نستعرض السمات ذات المنبع الرعوي البدوي ، والسمات ذات المنبع الديني الصوفي وتأثير كل من البداوة والتصوف في السلوك الصحي عموما والسلوك المتعلق بجائحة كورونا علي وجه التحديد.

أولا :سمات مصدرها المجتمع الرعوي البدوي :

يري (عبدالرحمن ، ع 2011: 411) أن الشخصية السودانية في جوهرها شخصية بدوية مركبة ، ويضيف أنه رغم التغيير الذي يحدث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للسودانيين نتيجة لإستقرار الكثير منهم وتوطينهم في القري والارياف والمدن ، فإن التغيير الذي حدث في شخصياتهم يُعد في واقع الأمر تغييرا سطحيا ، إذ ظل الكثير منهم في دواخلهم ووجدانهم بدوا خُلصا متمسكين بقيم البدو ومفاهيمهم وعاداتهم ، وهذه القيم قد تكون محل فضيلة إذا جاءت في سياقها وظرفها المجتمعي ، ولكن حينما تُنتزع منه وتُستصحب في مجتمع آخر بخصائص وظروف أخرى تكون سالبة غير مرغوب فيها ، وفيما يلي تفصيل لهذه السمات ذات الأصل البدوي :

1/ التعاون والتكافل :

يتضمن التعاون العمل المشترك بين أفراد الجماعة أو بين أفراد الجماعات وبعضها بقصد الوصول الي أهداف مشتركة ، وهو سلوك اجتماعي مبني علي تبادل المنفعة (الجبالي ، د- 2003: 135) ، أما في المجتمع السوداني فإن هناك إشراف وتطرف في العلاقات التعاونية ، مما أثر علي التنمية فإن أهل السودان يُضيعون زمنا كبيرا في المجاملات في الافراح وفي المآتم وفي زيارة المرضى ، ورغم الدفء الذي يحققه هذا السلوك إلا أن الكثير من خبراء اجتماع التنمية يعتقدون أن هذه المجالات الاجتماعية لاتبني وطنا ولا تصنع تنمية لأنها غالبا تكون علي حساب ما هو أهم ، وتحدث دون ترتيب للأولويات ، أما في زمن جائحة كورونا فإن كل النداءات والرسائل التوعوية والحملات الوقائية ومجهودات التربية الصحية كانت تُنادي بتحاشي التجمعات والملامسة والتزام التباعد الاجتماعي ، ولكن حتي لحظة كتابة هذه الكتابة فإن أهل السودان يتجمعون بكثافة في الأفراح وفي المآتم وفي تشييع الموتى حتي المشتبه بهم بالإصابة بالفيروس ، ويُصرون علي زيارة المرضى ، والاكل الجماعي ، والتعاون هو سلوك اجتماعي يرتبط بسلوك التعاطف الذي يُعبر عن الإحساس بالأم الآخر ومعاناته (ربيع ، م - 2011: 162) ، ويظهر هذا التعاطف بشدة نحو المرضى المُحتجزين في المستشفيات لإصابتهم بفيروس كوفيد 19 ، وتنقل الوسائط الكثير من المشاهد التي يتكدس فيها المرافقين من أقارب وأصدقاء المريض في المستشفيات الأمر يخل بنظام الحجر الصحي في هذه المستشفيات ، ومثل هذا السلوك يزيد من خطر الإصابة بالعدوي ، حتي وإن قُصدت به المساندة الاجتماعية.

2/ التمسك بالسكن المتقارب:

رغم الأمان الذي يحققه السكن المتقارب إلا أنه من ناحية أخرى يُعد خاصية سلبية، فالسكن المتقارب وقوة الرباط الاجتماعي يجعل الحياة الخاصة مُنتهكة ، ويُفقد الفرد الشعور بخصوصيته ، والفرد ذائب في الجماعة بصورة يكاد يفقد فيها فردانيته (الطالب ، م- 2014: 191) هذه الإنتهاكات مزعجة حتي في الاحوال العادية فما بالك في ظروف وحالات المرض وخاصة فيروس كوفيد 19 ، الذي تعطلت بسببه

الحياة في كافة أنحاء العالم من أجل ان يظل الانسان في بيته حتي لا يؤذي ولا يؤذي من أحد.

3/ الالتزام الصارم بالعادات والتقاليد :

ومن أهم العادات التي تهدد صحة الانسان في زمن جائحة كورونا هي العادات الغذائية ، وخاصة عادة السودانين في تناول الطعام من طبق واحد دون إستخدام ملاعق أو شوك ، بل الأكل بالأيدي مباشرة ، وهي عادة متجذرة في السودان حيث اشار اليها الرحالة الألماني الذي زار السودان في العام 1700م ، وكذلك من العادات التي يحرص عليها السودانين في رمضان هي عادة الإفطارات الجماعية أو الإفطارات في الطرق والميادين العامة وهذه العادات قلت في العاصمة بسبب الكورونا لكنها تمارس بكل أريحية في الريف السوداني رغم خطورة التجمعات ، وهذا تجسد مسايرة نمط الحياة التقليدي الإتباعي والتمسك به وتحاشي الابتعاد عنه أو الخروج عليه (عبدالرحمن، ع 2011: 57) وهذا السلوك يُعد خطأ مُتعمد وخطر كبير في زمن الكورونا.

4/ التمرد علي النظام والقوانين واللوائح :

و ظهر هذا واضحا في هذه الأيام الإستثنائية حيث يُلاحظ التمرد علي الدعوات الوقائية ومحاولة كسر الحظر والتحايل بشتي السبل من أجل مقاومة أوامر السلطات وخاصة عندما منعت السلطات السفر بين الولايات ، فيُلاحظ إنتهاز أصحاب المركبات الخاصة لهذه الظروف وإستغلال سياراتهم في نقل المسافرين بين الولايات ، ويحدث ذلك طبعا في ظل تمردا آخر وهوتساهل القوات النظامية مع هذه الظاهرة ، وكذلك يتضح عدم الاكتراث بالنظام العام والميل التلقائي للإخلال به في التمرد ، علي دعوات التباعد الاجتماعي في المخابز والصيدليات والمصارف وكافة مؤسسات الخدمة ، وهذا يؤكد القدرة الهائلة للسودانيين علي الإنقسام وتوليد الخلافات والإلتفاف علي النظام (علي ، ح - 2011: 225).

ثانيا : سمات مصدرها المجتمع الديني الصوفي :

أدت الطرق الصوفية عدة وظائف ومهام إجتماعية و روحية أسهمت في تماسك المجتمع السوداني باختلاف أعرافه وقبائله ، ونجحت الطرق الصوفية بذلك في تحقيق الاتصال والمواءمة بين روح الصوفية الإسلامية الطاهرة الزاهدة ، والروح الأفريقية الزنجية ، ونجحت الطرق الصوفية بذلك في إختراق كافة الإنتماءات والولاءات العشائرية والقبلية والجهوية (عبدالرحمن، ع 2011: 59) ، ورغم السمات الإيجابية العديدة التي إستمدتها الشخصية السودانية من المصدر الصوفي إلا أنه أسهم مع غيره من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت تلك الفترة التكوينية للشخصية السودانية في جعلها شخصية قدرية تواكلية غير منتجة ، ومن سمات الشخصية السودانية المُستمدة من المصدر الصوفي والتي هي ذات صلة بالسلوك الصحي في ظل جائحة كورونا مايلي :

1/ القدرية السلبية :

ويظهر ذلك في السلوك الصحي ، ويرتبط بضعف الفاعلية الذاتية وضعف مركز الضبط الصحي والذي يظهر في الميل إلى إنكار الخطأ وتسويفه وإزالة المسؤولية عن النفس وإسقاطها علي الغير أو الآخر في الداخل أو الخارج ، يحدث ذلك رغم الدعوات المكررة بأن التعامل مع جائحة كورونا يتطلب التحلي بمبدأ المسؤولية الذاتية ، بمعنى أن يتحمل الفرد مسؤوليته تجاه نفسه وتجاه جماعته وتجاه المجتمع.

2/ الميل إلى تصديق وترويج الاشاعات والخرافات والإعتقاد في الاشخاص الذين يدعون الكرامات والقدرات الخارقة ، وهو يُعبر عن التماهي مع دعوات أهل الشعوذة والدجل ، والتي تستمد قوتها من المصادر الصوفية التي إختلط فيها الحق بالباطل.

3/ الميل إلى التدين والمحافظة علي الموروث الديني التقليدي :

وقد ظهرت هذه النزعة عندما أعلنت السلطات الحكومية إغلاق المساجد وعدم إقامة صلاة الجماعة وصلاة الجمعة تحقيقاً للتباعد الاجتماعي ومنعا للتجمعات وتحاشيا لانتقال العدوي ، الأمر الذي وجد معارضة شرسة من القطاعات الدينية الصوفية ، وكذلك القطاعات الدينية السلفية⁰

4/ الولع بالسياسة والتمتع بمستوي عالي من الوعي السياسي :

ويرتبط الوعي السياسي في السودان بالصوفية بالحزبين الكبيرين التقليديين اللذين يرتبطان بالطريقة الختمية من جهة والدعوة المهدية من جهة أخرى ، هذا الإتساع الأفقي لهاتين الطائفتين أعطي السودانيين وعيا سياسيا فريدا ، حيث يربطون ماهوديني بما هو سياسي ، ويُفسرون كل قضية من منظور سياسي ولم تسلم جائحة كورونا من هذا الإتهام حيث هناك إعتقاد سائد في الأوساط السودانية مفاده أنه لا توجد كورونا في السودان ، وإنما هي خدعة سياسية تريد بها الحكومة الإنتقالية إلهاء الناس وكسب الزمن لترتيب الأوراق.

يتضح مما سبق أن هناك ترابط وثيق بين المنظومة الثقافية والمعرفية التي تشكل ذهنية المجتمعات وبين السلوك الصحي المرتبط بالصحة والمرض عموما وجائحة كورونا خصوصا.

المراجع :

- 1/ ابراهيم ، عبد الستار 0 (1987) ، أسس علم النفس ، دار المريخ ، الرياض.
- 2/ تروادك ، برتران 0 (2009) ، علم النفس الثقافي ، دار الفارابي ، بيروت.
- 3/ حامد ، عبدالله صالح 0 (2019) : رأيي في حكم بلادي ، دار عزة للنشر ، الخرطوم..
- 4/ الجبالي ، حسني 0 (2003) : علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.
- 5/ ربيع ، محمد شحاته 0 (2011) : علم النفس الاجتماعي ، دار المسيرة ، عمان.
- 6/ شويخ ، هناء أحمد محمد 0 (2012) : علم النفس الصحي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.
- 7/ الشيخ ، أحمد المعتصم 0 (2018) الرحلات السودانية لثيودور كرمب (1700م -1702) ، هيئة الخرطوم للثقافة والنشر ، الخرطوم.
- 8/ الطالب ، محمد عبدالعزيز 0 (2014) : الشخصية السودانية "دراسة أنثربولوجية نفسية" ، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم.
- 9/ الطيريري ، عبدالرحمن 0 (1993) : العقل العربي وإعادة التشكيل ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الدوحة.
- 10/ عبدالرحمن ، عبدالوهاب أحمد 0 (2011) : الشخصية السودانية – المكونات والمؤثرات والسمات ، المكتبة الوطنية ، الخرطوم.
- 11/ عبدالعزيز ، مفتاح محمد 0 (2010) : مقدمة في علم نفس الصحة ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان.
- 12/ العتوم ، عدنان يوسف 0 (2016) : علم نفس الجماعة ، دار المسيرة ، عمان.
- 13/ علي ، حيدر إبراهيم 0 (2011) : السودان الوطن المضيق ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة